إيسيسكو
ICESCO

مجلة الإيسيسكو للغة العربية

دوريَّة علميَّة محكَّمة تُصدرها

مُنظَّمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة

المجلد الأول - العدد الثاني
جمادى الآخرة 1446 / ديسمبر 2024

منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة
(إيسيسكو)

شارع الجيش الملكي، حي الرياض، ص. ب. 2275 ، ر. ب. 10104، الرباط، المملكة المغربية

المجلد الأول - العدد الثاني
جمادى الآخرة 1446 / ديسمبر 2024

© إيسيسكو
جميع حقوق إعادة الإنتاج والترجمة والاقتباس محفوظة

الرقم الدولي الموحد للدوريات الورقية (ISSN): 3007-5726
الرقم الدولي الموحد للدوريات الإلكترونية (E-ISSN) : 3007-5734

التصميم والطباعة في الإيسيسكو

+212537566052 | www.icesco.org | contact@icesco.org

هيئة التحرير

المشرف العام

د. سالم بن محمد المالك

المدير العامُّ لمنظَّمة العالم الإسلاميِّ
للتَّربية والعلوم والثَّقافة (إيسيسكو)

رئيس التَّحرير

أ.د. مجدي حاج إبراهيم

مدير التَّحرير

أ.م.د. أدهم محمد علي حموية

المحرِّر اللغوي

د. مهند عمر رنــة

الهيئة الاستشارية

- **أ.د. أحمد المتوكل**
  المملكة المغربية
- **أ.د. رمزي البعلبكي**
  الجمهورية اللبنانية
- **أ.د. سعد مصلوح**
  جمهورية مصر العربية
- **أ.د. عبد السلام المسدي**
  الجمهورية التونسية
- **أ.د. عبد العزيز الحربي**
  المملكة العربية السعودية
- **أ.د. محمد حسين آل ياسين**
  جمهورية العراق
- **أ.د. محمد عدنان البخيت**
  المملكة الأردنية الهاشمية
- **أ.د. مسعود صحراوي**
  الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
- **أ.د. وليد القصاب**
  الجمهورية العربية السورية
- **أ.د. أون يون كيونغ (نبيلة)**
  جمهورية كوريا
- **أ.د. رحمة أحمد الحاج عثمان**
  ماليزيا
- **أ.د. محمد طالب الحوري**
  الولايات المتحدة الأمريكية
- **أ.د. نيكولاس روزر نبوت**
  مملكة إسبانيا

"مجلّة الإيسيسكو للُّغة العربيَّة" دوريَّةٌ علميَّةٌ محكَّمةٌ للبحوث في اللُّغة العربيَّة وآدابها وعلومها، تُصدرها منظمَّة العالم الإسلاميّ للتَّربية والعلوم والثَّقافة (إيسيسكو)، في شهري يونيو وديسمبر (حزيران وكانون الأوَّل) من كلِّ عامٍ، ويشتمل نطاقُها على محورين لبحوث اللُّغة العربيَّة وآدابها وعلومها:

- المحور النَّظري، ويضمُّ البحوث اللِّسانيَّة والأدبيَّة والنَّقديَّة.
- المحور التَّطبيقي، ويضمُّ البحوث التَّعليميَّة والتَّرجميَّة والحوسبيَّة.

لا تمثِّل آراء الكتَّاب بالضرورة توجُّهات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

مراسلة المجلة

مركز اللغة العربية للناطقين بغيرها
منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة
(إيسيسكو)
شارع الجيش الملكي، حي الرياض، ص.ب. 2275، ر.ب. 10104
الرباط، المملكة المغربية

www.ijal.icesco.org || ijal@icesco.org

ضوابط النشر

- أن يتَّسم البحث بالجدَّة والموضوعيَّة والرَّصانة العلميَّة.
- ألَّا يكون البحث منشورًا أو مقدَّمًا للنشر في أيِّ وعاءٍ علميٍّ آخر.
- ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحث 30٪ (مع استثناء المصادر والمراجع).
- أن يكون عدد كلمات البحث ما بين 5000-7000 كلمة؛ إضافة إلى ملخص للبحث كلماتُه ما بين 200-300 كلمة، وترجمته إلى الإنجليزية.
- أن يكون التوثيق بطريقة الحواشي في كل صفحة، وتُدرج أرقامها بعد علامات الترقيم في المتن، والترقيم جديد لكل صفحة.
- أن يكون التوثيق وفق نظام شيكاغو Chicago.
- أن تُضاف قائمة للمصادر والمراجع مكتوبة بالحروف اللاتينية.
- أن تُرسل البحوث من خلال إنشاء حساب في موقع المجلة (ijal.icesco.org).

الأُنثى في الفكرِ النَّحويِّ العربيِّ: قراءةٌ معرفيَّةٌ

مريم بيد الله علي الحجازي، محمد صالح بوبركة 9

حصولُ الأمنِ الثَّقافيِّ رهينُ اعتمادِ اللُّغةِ الجامعةِ

أحمد العلوي العبدلاوي 37

العلمُ في اللُّغتينِ الإنكليزيَّة والعربيَّة ومُستقبَلُ التَّعليمِ والبحثِ العلميِّ والثَّقافةِ فيهِما

شفيق بنات، فؤاد عبد المطلب 53

نَسَقُ النَّقدِ المعرفيِّ: من النَّصِّيَّة إلى التَّأويليَّة

محمد سالم سعد الله 93

أبو جعفر الرُّعينيُّ الغرناطيُّ أوَّلُ مَنْ ألَّف في المثلَّثات اللُّغويَّة القرآنيَّة:

بحثٌ في معالِمِ الصَّنعةِ والتَّفرُّدِ والجِدَّةِ

محمد ابن سفاج 115

بنيةُ التَّكريرِ في الخطابِ النَّبويِّ: خطبةُ الوداعِ أُنموذجًا

مصطفى قنبر 167

شعريَّةُ التَّناوُبِ الأُسلوبيِّ في "القصيدةِ الدِّمشقيَّةِ" لنزار قبَّاني

محمد فلفل 197

إشكالاتُ التَّرجمةِ من التركيَّةِ إلى العربيَّةِ لدى الطُّلَّابِ الأتراكِ: دراسةٌ تقابليَّةٌ

هاني إسماعيل رمضان 217

تطبيقُ الذَّكاءِ الاصطناعيِّ في تعليمِ اللُّغاتِ وتعلُّمِها:

برنامجُ (QuestionWell.org) أُنموذجًا

محمد صبري شهرير 237

التَّعرُّفُ الضَّوئيُّ على المخطوطِ العربيِّ واقعُه وتحدِّياتُه: تقنيَّةُ (OCR-RDI) أُنموذجًا

حسين البسومي، محسن رشوان، ياسر السيد 259

© إيسيسكو ICESCO 2024

2024 - (2)1
اسـتُلم Received 2024-10-2
قُبل Accepted 2024-11-15

الأُنثى في الفكرِ النَّحويِّ العربيِّ
قراءةٌ معرفيَّةٌ

مريم بيد الله علي الحجازي*، محمد صالح بوبركة**

مُلخَّص

يناقش هذا البحث ظواهر لغوية متصلة بالجنس الأنثوي، ومكانتها في إنتاج الدلالة القواعدية للُّغة، للوصول إلى حقيقة نظرة العرب – حاملي اللغة ومُنتجيها الأُوَل – إلى المؤنَّث، فاللغة في تكوينها الأنثوي مثَّلت مرآة الفكر العاكسة إياه، وهي ظاهرة نفسية واجتماعية لا تنفصل عن مُنتجيها، وقد توصَّل البحث إلى نتائج عدة، منها انعكاس صورة الأنثى في بعض الظواهر النحوية، وأنها تحمل في جذْرِها معاني الرقة واللين، وتؤدِّي معاني الخصب والنماء، وتبيَّن عبْرَ آراء بعض العلماء وتفسيراتهم الظواهر النحوية، أنَّهم يقطعون الصلة بين اللغة والحياة، فيفسِّرون اللغة من داخلها، من دوْنِ أن يُوْلوا عناية بالظروف الخارجية؛ النفسية والاجتماعية وغيْرِها، لذا لم تصل إلينا الصورة الكاملة عن الأنثى في الفكر العربي حين صوْغِ القواعد وتفسيرها، على أن اللغة العربية عبْرَ قواعدها، أنْصَفَتِ الأنثى، ولم تتجاهلها، فوظَّفت لها صياغات تخاطبها بها، من منطلق أن اللغة مرآة تعكس الفكر، وما فيها من ظواهر، لا بدَّ لها من أن تكون متصلة بالملابسات النفسية والاجتماعية الحاضرة آنَ تقعيد اللغة.

الكلمات الرئيسة: اللغة، الفكر، الأنثى، الفكر النحوي، اللغة العربية، الظواهر النحوية

* أستاذة مشاركة متخصِّصة في النحو والدلالة، كلية التربية، جامعة بنغازي، دولة ليبيا، m_alhegaze8@yahoo.com.

** محاضر في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة طبرق، دولة ليبيا، mohamad.abrahim@tu.edu.ly.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ICESCO Journal of Arabic Language
ISSN: 3007-5726 | E-ISSN: 3007-5734
https://doi.org/10.70910/ijal1(2)1

The Feminine in Arabic Grammatical Thought
An Epistemological Review

Maryaim Beedallah Alhejazi[*], Mouhammed Saleh Bubarakh[**]

Abstract
This study explores certain linguistic phenomena related to the feminine and its role in generating grammatical meaning in Arabic. It seeks to uncover the Arab perception of femininity as the original speakers of the language and its originators. The feminine structure, in language, allows it to become a mirror that lays the thought of its native speakers bare, making of this unintended disclosure a psychological and social phenomenon that's inextricably tied to them. This study reveals that the image of femininity is reflected in some grammatical phenomena, carrying with it entrenched connotations of gentleness, tenderness, fertility, and growth. However, some linguistic scholars, through their interpretations of linguistic phenomena, disconnect language from life, and explain it from a purely intrinsic viewpoint, depriving it of any interaction with external factors, such as psychological and social circumstances. This approach typically results in an incomplete understanding of the feminine in Arabic thought during the codification of grammatical rules. Despite this, Arabic grammar treated the feminine fairly, offering specific structures to address the Her, reaffirming the language's role as a reflection of thought, and that the linguistic phenomena exhibited within it are inextricable from the psychological and social contexts contemporary to the time that language was codified.

Keywords: *Language, thought, feminine, grammatical thought, Arabic language, grammatical phenomena*

[*] Associate Professor of Syntax and Semantics, Faculty of Education, University Benghazi, Libya, m_alhegaze8@yahoo.com.
[**] Lecturer at the Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Tobruk University, Libya, mohamad.abrahim@tu.edu.ly.

© إيسيسكو ICESCO 2024

مُقدِّمة

اللغةُ – بوصْفِها حاملةً الفكرَ وعاكسةً الضمير الجمعي للأمَّة – مدخلٌ رئيس للدراسات الاجتماعية والإناسية، فلا يمكننا دراسة فكْرِ أمَّةٍ في عصور ماضية إلا بالنظر إلى لغَتِها؛ إذ تعكس مفاهيم تلك الأمَّة وتصوراتها عن العالم، وهي محصلة خبرات الشعوب، وإن الأمَّة العربية نضجت لغَتُها، ووَصَلَتْ إلى أعلى مستويات البيان فصاحةً وبلاغةً، مما جعلها تُكرَّم بنزول آخر الكتب السماوية بها، وهو ما أضفى عليها شيئًا من القداسة، فانصرفت إليها عقول العلماء وأقلامهم بالتأليف والتفسير.

ويناقش هذا البحث ظاهرة التأنيث في اللغة العربية، من أجل بيان تعامُلها العربية مع الظواهر الفرعية المتعلِّقة بها، وآراء العلماء فيها، وذلك بالاحتكام إلى العربية نفسها مهما كانت التفسيرات الموروثة عن العلماء، فإنهم متأثرون بموروثاتهم الاجتماعية والنفسية وما يحيط بهم من ظروف، ولا يعني هذا عناية البحث بقضية الجنوسة (Genderism) في اللغة، التي باتت اليوم موضوعًا جذابًا رائجًا، بل يسعى البحث إلى استنطاق الموروث اللغوي الضخم الذي يعكس فكْرَ صاحبه، من أجل استجلاء صورة الأنثى في اللغة العربية، ومن ثم الإجابة عن أسئلة من قبيل:

- كيف نَظَرَتِ اللغة العربية إلى الأنثى؟ وما أبرز الظواهر التي عنيت بها اللغة العربية لتعكس منظورها في التصورات والمفاهيم الفكرية لمستعمِليها؟
- هل حَدَثَ حقًّا استلاب للأنثى في اللغة العربية، أو كان هذا الاستلاب ممن استعملوا اللغة العربية محاولين صوْغَها وفْقَ تصوراتهم؟
- كيف فُسِّرت الظواهر اللغوية المتصلة بالأنثى عند العلماء الأوائل؟
- هل تجاهلت اللغةُ العربية الأنثى، أو حاول مُدوِّنو اللغة العربية وسدنتها طمْسَ التاريخ اللغوي الأنثوي؟

ومثْلُ هذا النقاش يستبطن تاريخًا يلزم فكُّ رموزه، لمعرفة ما كان يفكِّر به العربي عندما أنتج لغَتَه، وتفسيره إياها فيما بعْدُ، وإن استعمال المناهج ذات البُعد النفسي

© إيسيسكو ICESCO 2024

الاجتماعي في تفسير تلك المراحل اللغوية؛ يضيء لنا مساحة أخرى تعيد إلى اللغة العربية شخصيتها، أي ينقلها من أنها رموز دالَّة على مدلولات، إلى أنها وعاء حامل ثقافة أمَّة عبْرَ العصور، يعكس استعمالات متحدِّثيها من دوْنِ إجحاف.

صورة الأنثى في الموروث الثقافي العربي

عندما نتحدَّث عن الأنثى في تكوين المخيال العربي، تبرز الأمُّ قيمةً عليا، فهي مصدر الوجود الأوَّل للإنسان في الحياة، ومصدر بقاء النوع الإنساني واستمرار المسيرة البشرية وتطوُّرها عبْرَ الأزمان، وهي الملجأ والأمان للطفل، والمتعلَّق الأوَّل له في أعوامه الأولى.

وقد تموضعت الأنثى في الحياة الاجتماعية تموضعات عدة؛ منها الحسن والقبيح، ومنها المقدَّس والمهان، وفْقَ طبيعية المجتمعات البشرية وعقليَّتها في التفكير في مكانة المرأة في تطوُّر الحياة وصيرورتها، ففي بعض المجتمعات احتُقِرت المرأة كثيرًا، وفي مجتمعات أُخَرَ قُدِّست، وفي بعضها تفاوَتَ النظر إلى المرأة، فقُدِّست وأُهينت في آنٍ معًا، وهي حال المرأة في المجتمعات العربية، وبخاصة قبْلَ الإسلام، فقد كانت نساء يُحترَمن ويُكرَمن، وأُخريات يُحتقَرن ويُهَنَّ، ولنا دليل في ظاهرة وأد الوليدات، مخافة العار والفقر![1]

ومهما يكن فإن للمرأة مكانة محورية في تشكيل الوعي العربي وحضارته على مرِّ العصور، ولا سيما حضورها أمًّا، وإن مفهوم الأمومة يتألف من جانبين؛ نفسي مُتخيَّل، واجتماعي واقعي، فالأمومة النفسية هي المتعلَّق الجمعي للشعوب من وجود الأمومة العليا الجامعة لهم؛ إذ تمثِّل سلطة عليهم وعلى سلوكهم واعتقاداتهم، يستمدون منها العون والمساعدة والرزق، وغيْرَها من الاحتياجات المادية والمعنوية، وما الجانب النفسي إلا ذلك الحاجز النفسي القوي الذي يردع أيَّ فعْلٍ ضدَّ كلِّ مخالِف، وهو ما لمسَتْه السيدة عائشة رضي الله عنها في مرحلة تاريخية حرجة، فقد جاء في خطبتها يوم معركة الجمل: "أيُّها الناس، صه، صه! إنَّ لي عليكم حقَّ الأمومة، وحقَّ الموعظة، لا يتَّهمني إلا من عصى ربَّه...".[2]

---

[1] لمزيد اطِّلاع انظر: محمد الغزالي، **المرأة في الإسلام** (القاهرة: أخبار اليوم، 1991).

[2] أحمد شوقي، **أسواق الذهب** (القاهرة: مطبعة الهلال، د.ت)، ج1: ص105.

© إيسيسكو ICESCO 2024

أمَّا الأمومة الاجتماعية فتتعلق بالأم الواقعية التي تمثِّل العنصر الأبرز في تكوين الأسرة بتربية الأطفال، "فالأمومة رسالة المرأة على هذه الأرض، وشأنها الأول في الحياة، وهي حجَرُ الأساس في الأسرة، وقواعد المجتمع وأركانه منذ قام إلى يوم ينفضُّ".[1]

والأم كذلك هي التي تمنح بنِيْها – بعد الخالق سبحانه وتعالى – الحياةَ، فهُم في بطْنِها أجنَّة يقضون شهورًا في قرار مكين، يغتذون من دمِهَا، ثم بعْدَ الوضع يرتضعون من لبَنِها، وينعمون برعايتها وحبِّها، وتصوغهم تربيتها، ثم هم شبانًا وفتيانًا معقد أمَلِها، فهي عماد الأسرة وسنَدُها، وهي بالأمومة ذات صفتين؛ زوجة لرجُلٍ، وأمٌّ لبنين.[2]

ويقول جورجي زيدان عن التَّوجُّه الأمومي عند العرب من خلال نظرية الأمومة: "إنَّ العرب في الزمن القديم لم يكن عنْدَهم عائلة رئيسها الأب، ولا كانت الأنساب تتصل بالآباء... وذلك أنَّ المرأة تتزوَّج برجلين فأكثر، وأولادها لا ينتسبون لأحدهم، وإنَّما ينتسبون إلى القبيلة، ويسمون بطوتمها"،[3] ولو لم تكن المرأة ذات حظوة ومكانة عالية في المجتمع العربي في الجاهلية لما تُرِك لها الزواج برجُلَين أو أكثر، يكون نسبهم جميعًا إلى كلِّ القبيلة نوعًا من الفخار والعزة لهم، أو تختار من بيْنِهم من تريده ليكون أبًا لوَلَدِها، غيْرَ أن بعْضَ بنات الأسر الشريفة لم يكنَّ يقبلن بالزواج من أحَدٍ إلا بموافقتهن، فحقُّ قبول الزوج أو رفْضُه يرجع إلى البنت، وقد اشترطت بعْضُ النسوة أنهن إن أصبحن عند أزواجهن، كان أمرُهُنَّ إليهن، إن شئْنَ أقمْنَ معهم، وإن شئْنَ تركْنَهم، أي إن حقَّ الطلاق بأيديهن، وذلك لشرفهنَّ وعلوِّ قدرهنَّ، ومن هؤلاء سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش، وهي أمُّ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية، وهي أمُّ الكَمَلة من بني عبْسٍ، وهم الربيع الكامل، وعمارة الوهاب، وقيس الحفاظ، وأنس الفوارس؛ بنو زياد.[4]

---

[1] السابق نفسه.

[2] انظر: أحمد محمد الحوفي، **المرأة في الشعر الجاهلي** (بيروت: دار الفكر العربي، ط2، د.ت)، ص76.

[3] جورجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي** (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت)، ج3: ص255.

[4] انظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (بيروت: دار الساقي، ط4، د.ت)، ج8: ص227.

© إيسيسكو ICESCO 2024

وكذلك كانت لنساء عربيات مكانة عظيمة في نفوس العرب، فكثيرًا ما كانت الأم تسمي أبنائها وتنسبهم إليها، وكان لعشيرتها هذا الحق، وقد استمرَّ هذا إلى قبيل مجيء الإسلام، ويدلُّ على ذلك أنه لما خطَّب عوف بن محلم الشيباني ابنته أمَّ إياس، فقال: "نعم، أزوِّجها على أن أُسمي بنيها وأزوِّج بناتها"، فقال عمرو بن حجر: "أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فينكحهنَّ أكفاؤهنَّ من الملوك".[1]

وقد ذُكرِت قبائل عربية انتسبت إلى الأم، وكذا انتسب شعراء كثير إلى أمهاتهم، فقد عدَّ محمد بن حبيب الشعراءَ الذين نُسبوا إلى أمهاتهم، وهم قرابة تسعة وثلاثين شاعرًا، منهم ستة وثلاثون جاهليًّا.[2]

ومما يدلُّ أيضًا على مكانة المرأة العظيمة في حياة العرب في الجاهلية وجود الكاهنات، فللكاهنة مكانة كبيرة ومركز مرموق عنْدَ العرب قبْلَ الإسلام، منهن عفيراء الكاهنة الحميرية، وطريف التي تكهَّنت بسيل العرم وانهيار سدِّ مأرب، ومنهن أيضًا كاهنة الحجاز التي شارت على عبد المطلب بن هاشم – عندما أراد ذبْحَ ابنه عبد الله – بمضاعفة الدية عشرًا عشرًا، "حتى يرضى ربُّك"، كما قالت، وحقًّا سَلِمَ عبد الله من الذبح، وغيرهنَّ كاهناتٌ كُثُرٌ.[3]

ولعلَّ هذا سرَّ اتِّجاههم إلى الشمس، وهي أظهرُ ما في حياة الصحراء، خالعين عليها صفة الأمومة، فعدُّوها الربَّة، والآلهة الأم، ولعلَّ هذا سرُّ تأنيث الشمس في اللغة العربية على عكْسِ اللغات التي ربَطَتْها بإلهٍ ذَكَرٍ.[4]

وتمظهرت الآلهة الأنثى عنْدَ العرب – كما هي الحال عنْدَ غيْرِهم من الشعوب كاليونان والفرس والهند – في عدة تمظهرات، منها عبادة الشمس والنجوم، ومن النجوم التي

---

[1] الحوفي، **المرأة في الشعر الجاهلي**، ص88.

[2] انظر: المرجع السابق، ص90.

[3] انظر: علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج12: ص346.

[4] انظر: عبد الملك مرتاض، **السبع المعلقات: مقاربة سيميائية أنتروبولوجية لنصوصها** (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998)، ص23.

© إيسيسكو ICESCO 2024

عُبِدت الشعرى، "وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب، يعظِّمها، ويعتقد تأثيرها في العالم"،[1] وذَكَرَتْ بعْضُ المصادر هذه المعتقدات، كقول التوحيدي: "فإني أظنُّ السبب في تأنيث العرب إياها أنهم كانوا يعتقدون في الكواكب الشريفة أنَّها بنات الله... وقد سمُّوا الشمس خاصة باسم الآلهة، فإنَّ اللات اسمٌ من أسمائها، فيجوز أن يكونوا أنَّثوها لهذا الاسم، ولاعتقادهم أنَّها بنتٌ من البنات، بل هي أعظمهن عندهم".[2]

وقد أشار القرآن الكريم إلى قوم سبأ من عرب اليمن، الذين كانوا يعبدون الشمس، قال تعالى: ((وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)) [النمل: 24]، فإنهم مع ما أُوتوا من القوة والملك والسلطان، كانوا يعبدون الشمس.[3]

والعرب عبدوا الشمس وقدَّسوها لأنها طوطم مُنتَج من ذات الإله – تعالى الله عما يقولون – فالشمس في نَظَرِهم العقدي بنتٌ لله سبحانه، ومن ثم كانت أولى بالتقدمة على غيْرِها من المعبودات، ومن الطبيعي حين تقديس شيء في أي بيئة – ولا سيما البيئة العربية – أن ينعكس ذلك على أحوال اجتماعية ونفسية كثيرة، ومن هذه الأشياء اللغة التي تجنح إلى ذلك المتغيّر، فهذه المعتقدات التي صيغت وجدانيًّا تنعكس على الفكر، ومن ثم تأتي اللغة لتمثِّل هذا الفكر، فينعكس في مفرداتها وتراكيبها من غيْرِ وعْيٍ، لأنَّ اللغة مرآة الفكر.

بعْدَ هذا العرض العام لما كانت عليه الأنثى في المجتمع العربي، نقول إنه كغيره من المجتمعات، تسري فيه قوانين التغيُّر الاجتماعي والنفسي وغيرها من ظروف البيئة، مما يجعل قيَمَه غيْرَ ثابتة، لذا لم تكن نظرته إلى الأنثى تسير على وتيرة واحدة، ولا شكَّ في أن صورة المرأة قد استجابت لهذه التغيرات، فهي تهبط وتعلو تبعًا لما يستجدُّ من متغيرات، مرَّة آلهة معبودة مقدَّسة، ومرَّة وليدة موءودة خشية ما يأتي معها من العار!

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964)، ج17: ص119.

[2] التوحيدي، **الهوامل والشوامل**، تحقيق: سيد كسروي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001)، ج1: ص81.

[3] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج13: ص177.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ولا شكَّ في أن العربية اختزنت هذه الثقافة وحملتها، فالتصُّير اللغوي كالتصُّير الاجتماعي، يمرُّ بمراحل عدة ومحطات كثيرة، واللغة تنشأ في تصيُّرها عبْرَ الزمان والمكان، ومن السهولة والليونة من جهة، ومن الشدة والقوة من جهة أُخرى، "فاللغة نظام معقَّد من نوع مخصوص يتميَّز بخصائص محدَّدة محكومة بطبيعة العقل (الدماغ)، وتحدِّد هذه اللغة من ثم ظواهر متعدِّدة محتملة، فهي تحدِّد البنية لتعبيرات لغوية متعدِّدة تتجاوز بشكل كبير أية تجربة".[1]

وفي دراستنا اللغةَ وبنياتها وصيغها ومفاهيمها، نميِّز بيْنَ صانعي اللغة ومستعمِليها، فصانع اللغة الأوَّل قد طبعها بفكْرِه وصاغها وفْقَ تصوراته الأشياء آنذاك، ومستعمِل اللغة يأتي في مرحلة لاحقة ليفسِّر اللغة من خلال معتقداته، وقد تستجيب اللغة لهذا التفسير، وقد تستعصي وتتأبى، وذلك أنَّ اللغة تقول شيئًا، ومفسِّريها يقولون شيئًا آخر.

ومن انتقال اللغة من طورٍ إلى آخر، نجِدُ تطوُّرَها في نَسَقٍ أُنثويٍّ لازمًا حتميًّا، لطبيعة اللغة الاجتماعية، فالتأنيث في اللغة – كما يقول عبد الله الغذامي – حقٌّ طبيعي وصفة جوهرية، ويجرى استلاب أنوثة اللغة بتذكيرها، وردِّها إلى أصلٍ مفترَض.[2]

صوغُ صورة الأنثى في الفكر العربي من خلال قواعد اللغة العربية

للُّغة مكانة بارزة في تشكيل طريقة تفكيرنا وتصوُّرنا الواقعَ، فهي تؤثِّر في رؤيتنا للعالم، وكلُّ أمَّة تمتلك رصيدًا خاصًّا من الأفكار تتحوَّل إلى رموز هي لغَتُها القومية،[3] واللغة تُنظِّم ثقافة المجتمع، أي كيفية إدراك هذا المجتمع الواقعَ وتمثُّله العالمَ الخارجيَّ، والعقل العربي عقلٌ واعٍ يمتاز بذكاء فطري يربط بين الأشياء وفق علاقات التشابه بينها، ولا تنفصل اللغة عن الفكر كما يرى سابير، فالبشر جميعًا يعيشون تحت رحمة اللغة، لأنَّها وسيلة التعبير عن مجتمعهم، بل إنَّها تتحكَّم في كلِّ تفكيرهم.[4]

---

[1] نعوم تشومسكي، **اللغة ومشكلات المعرفة**، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني (الدار البيضاء: دار توبقال، ط1، 1990)، ص62.

[2] انظر: عبد الله الغذامي، **المرأة واللغة** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط3، 2006)، ص16.

[3] انظر: محيي الدين محسب، **اللغة والفكر والعالم: دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998)، ص11.

[4] انظر: المرجع السابق، ص19.

© إيسيسكو ICESCO 2024

وتعكس اللغات الإنسانية طبيعة مستعمليها وصوْغَهم الفكري وتكوينهم الوجداني، ولأن اللغة نتاج طبيعي لنوعي البشر؛ الذكر والأنثى، فمن البداهة أن تكون اللغة محصِّلة هذا التنوُّع، فاللغة أشبه بالتاريخ من حيث كان محصِّلة وقائع وأحداث دُوِّنت من منظور كاتبها، فهي أحداث ملتبسة بمنظور من صاغها، وكذا اللغة، وإن كان فرْقٌ بيْنَ اللغة منطوقة، أي في إطارها الطبيعي، وبيْنَ اللغة المكتوبة المؤوَّلة بفَهْم حاملي فكْرِ بيئاتهم وموروثاتهم الاجتماعية والنفسية والعقدية.

ولا يعني هذا استحالة دراسة اللغة في إطارها الحرّ، من مثْلِ "كتاب سيبويه"، أوَّل منجز وصفي للُّغة في إطارها الاستعمالي المحرَّر من المنظورات المفترضة، بل الفرصة متاحة لنا للعودة إلى نصوص اللغة في ذلك الكتاب، وما تناقله اللغويون من بعْدِه وكيفية تفسيره، والمقارنة بين النصِّ وتفسيره لاستجلاء كثير من الحقائق اللغوية التي تعكس فكْرَ العرب في تلك الحِقَب.

وفْقَ هذا المنظور تعرَّض البحث للظواهر اللغوية، وما يمكن أن تحيل عليه من إشارات تكشف جانبًا غيْرَ مرئي من اللغة المكتوبة في جُلِّ المؤلَّفات، مع استثناء "كتاب سيبويه" الذي كان واصفًا اللغةَ كما هي عليه قبْلَ ظهور المنهج اللغوي المعياري.

إنَّ محاولة البحث في أصْلِ أيِّ ظاهرة، هو أشبه بالغوص في محيط مظلم، ولكنَّها مقاربات لمعرفة المنطق الذي تُقرِّر به اللغة علاقاتها بمستعمِليها، فالعقل العربي الذي اشتقَّ مصطلحات العلوم التي ازدهرت، واتَّخذ اللغة وسيلته في التعبير عنها؛ عقلٌ يعتمد الربط بين الأشياء لعلاقات مشابهة، وإن كانت بعيدة الغور، ونلمس هذا في منهج التأليف في اللغة وغيرها من العلوم المرتبطة بها، من مثْلِ كُتُبِ الأشباه والنظائر التي تُنظَّم فيها جملة من مسائل بينها وشائج وصلات، بطُرُقِ التشابه والقياس وردِّ الأشياء إلى أصولها، وهو ما يحاول هذا البحث اتِّباعه بعْدَ وصْفِ الظاهرة وتحليلها، وربْطِها بما يتناسب معها من معانٍ قد تكشف لنا حقائق نفسِّر بها نصوص اللغة، والبحث في هذا المنظومة اللغوية في قمة اكتمالها، لأنَّها المرآة العاكسة للمفاهيم والرؤى والصياغات الفكرية لذلك العربي في مفهوم الأنثى.

© إيسيسكو ICESCO 2024

أولاً: معنى الأنثى في المعجم

الأنثى خلافُ الذَّكر من كلِّ شيء، والجمع (الإناث) و(الأُنث)، قال الفرَّاء: "هو جمْعُ (الوثن)، فضمَّ الواو وهمَزَها... ويقال للرجل: أنَّثتَ تأنيثًا، أي لِنْتَ له، ولم تتشدَّد، ويُقال: هذه امرأة أُنثى، إذا مُدحت بأنها كاملة من النساء، كما يُقال: رجُلٌ ذَكَرٌ، إذا وُصِفَ بالكمال، وبَلَدٌ أنيث، ليِّنٌ سَهْلٌ، حكاه ابن الأعرابي، ومكان أنيث، إذا أسرع نباتُهُ وكَثُرَ".[1]

ولعلَّ هذه الرمزية – من دلالةٍ على الخصب والنماء – هي ما جَعَلَ للأنثى في عقول العرب مكانة خاصة، حتى صارت معبودًا عنْدَهم، فقد كانت لمعبوداتهم مسمَّيات أُنثوية، من مثْلِ (اللات) و(العزَّى) و(مناة)، قال تعالى: ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)) [النجم: 19، 20]، وقال سبحانه: ((إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا)) [النساء: 117]، وزَعَمَ ابن الأعرابي أن المرأة إنما سُمِّيت (أنثى) من البلد الأنيث، قال: "لأن المرأة أليْنُ من الرجل، وسمِّيت (أنثى) لِلِيْنِها"،[2] وقالَ ابن سيده: "فأصْلُ هذا الباب على قوله، إنما هو الأنيث الذي هو اللِّيْن".[3]

ولو جئنا إلى التقليبات الصوتية للجذر (أنث)، لرأينا (أثن) بمعنى (وثن)، والوثن ما يُعبد، وهذا يذكّرنا بموضوع عبادة العرب الشمسَ وغيْرَها من أصنام ونجوم تسمَّت بأسماء مؤنَّثة، و"الأُثْنةُ منبِتُ الطَّلْحِ، وقيل: هي القطعة من الطَّلْحِ والأثْلِ، يُقال: هبَطْنا أُثْنةً مِنْ طَلْحٍ ومِنْ أَثْلٍ، ويُقال للشيء الأصيل: أثِينٌ".[4]

وأيضًا (ثني)، "ثَنَى الشيء ثَنْيًا، ردَّ بعْضَه على بعْضٍ، وقد تَثَنَّى وانْثَنَى، وثَنَيْتُ الشيء ثَنْيًا، عَطَفْتُهُ، وثَنَاه، أي كَفَّه".[5]

---

[1] انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط3)، مادة (أنث).

[2] السابق نفسه.

[3] السابق نفسه.

[4] المصدر السابق، مادة (أثن).

[5] المصدر السابق، مادة (ثني).

© إيسيسكو ICESCO 2024

وفي قوله تعالى: ((إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا)) [النساء: 117]، قال الفراء: "وهو جمعُ (الوثن)، وقد قرأ ابن عباس: ((إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أُثُنًا))، فضمَّ الواو، فهمَزَها، كما قال: ((وإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ)) [المرسلات: 11]".[1]

في هذا الاستعراض الموجز لمجمل ما قيْلَ عن جذْرِ كلمة (أنثى) وتقلباته الهجائية، لم نلمح أيَّ معنى يشير إلى أنَّ مستعملي اللغة الأوائل كانوا ينظرون إلى الأنثى نظرة دونية، فلغة المعاجم حصيلة جلِّ الاستعمالات اللغوية للألفاظ في سياقات متنوعة، ولم يُذكر فيها جميعها ما يوحي بازدراء الأنثى، أو الحطِّ من قدْرِها، بل كان خلاف ذلك تمامًا، فكلُّ المعاني تدور بين اللين والرقة والتقديس.

وقد اختلفت هذه النظرة إلى الأنثى في الحِقب الآتية، أي بعْدَ صوغِ اللغة واكتمالها قبيل الإسلام، فظَهَرَ في مروياتهم ما عَكَسَ شيئًا من ازدراء الأنثى، مع أنَّها تسكن وجدانهم كائنًا يستنفر فيهم طاقات الحب، فلم تخلُ معلَّقة من معلقاتهم من تشبيب بالمرأة وإظهار مفاتنها، بل إن هذا التشبيب أصبح عُرفًا سائدًا بين الشعراء لا يكادون يخرجون عنه في قصائدهم، وفي آنٍ معًا حملت المرأة على عاتقها شَرَفَ الرجل وقبيلته، فأصبحت مثار قَلَقٍ وخَوْفٍ، هذا الإرث الذي حمَّلوه إياها دَفَعَتِ المرأة ثَمَنَهُ غاليًا، فبُغِضَتْ، حتى وُئِدَتْ خشية الفضيحة والعار، قال تعالى: ((وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)) [النحل: 58، 59]، فالقرآن هنا يخاطب عَرَبَ الجاهلية قبيل الإسلام، ويحرِّم قتْلَ الأنثى ووأْدَها، مع أن هذه الحوادث لا ترقى إلى مستوى أن تكون ظاهرة في ذلك العصر، ولكنَّ القرآن شنَّع عليها لعِظَمِ الجرم وبشاعته، على أنَّ قتْلَ الأطفال لم يكن للإناث فقط، بل طال الذُّكور أيضًا، فكانوا يقتلونهم خشية الفقر، فأنزل تعالى قوله: ((ولا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا)) [الإسراء: 31].

[1] الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق جمعٍ من المحققين (القاهرة: الدار المصرية، د.ت)، ج1: ص288.

© إيسيسكو ICESCO 2024

وبمقارنة ما تقوله اللغة المحايدة المنصفة؛ اللغة الأولى التي صيغت بقواعدها ومفاهيمها، وما طرأ على الفكر العربي بعْدَ تلك الحقبة التي لا نعرف مبْدَأها ومكتَمَلها، تظهر بحوث تداخل المنظور التاريخي، وهو ما يُعرِض عنه هذا البحث، لغموضه واختلافه في المنهج عما يريد، ومن ثم نجد أنفسنا أمام فكرين مختلفين؛ فكْرٍ أنتج اللغة وصَنَعَها، وفكْرٍ استعمل هذه اللغة وفسَّرها، وجاء هذا التفسير ليعكس لنا رؤية مفسِّري اللغة، ويظهر في تفسيراتهم المنطق الذُّكوري الذي تتأبَّاه اللغة العربية.

ثانيًا: المفاهيم النحوية وعلاقتها بالأنثى

1. ظاهرة التذكير والتأنيث:

عني النحويون بظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة، وألَّفوا فيها مؤلَّفات كثيرة، مما يوحي بانشغالهم بهذا الأمر، وأخذه حيزًا كبيرًا من تفكيرهم، وكان جُلُّ آرائهم – ما لم يكن كلُّها – يدور في التأكيد على أصالة التذكير وفرعية التأنيث.

نذكر هنا نصًّا لابن جني، يقول فيه: "وتذكير المؤنَّث واسعٌ جدًّا، لأنه ردُّ فرعٍ إلى أصلٍ، لكنَّ تأنيث المذكَّر أذهب في التناكر والإغراب".[1]

هكذا يرى ابن جني وكثير من اللغويين من قبْلِه ومن بعْدِه، فالأصل في العربية التذكير، وكأن الذكورة أصلٌ للجنس البشري! مع أنَّ سيبويه – كما يبين – لا يتحرَّج من ردِّ المذكَّر إلى أصلٍ مؤنَّث في بعْضِ المواضع، فللُّغة منطقها الخاص الذي لا ينكشف بسهولة، لأن البحث فيها أشبَهُ بالبحث عما وراء اللغة، ولحلِّ هذا اللغز ينبغي لنا أن نفكر في اللغة باللغة، ونجعلها الفيصل في تحديد وجهة البحث ونتائجه، ولو عدنا إلى المتقدِّمين – ونخصُّ منهم سيبويه صاحب أوَّل مؤلَّف كامل في التراث النحوي – فسنجد اللغة ذاتها بخصائصها وسماتها تفسَّر تفسيرًا آخر، فهو يعلِّق على ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة في معرض حديثه عن الممنوع من الصرف، فيقول: "وإنَّما كان المؤنَّث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكَّر، لأن الأشياء كلَّها أصْلُها التذكير، ثم تختصُّ بعْدُ، فكلُّ مؤنَّث شيءٌ، والشيء يُذكَّر، فالتذكير أوَّل، وهو

[1] ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار (بيروت: دار الكتاب، 1975)، ج2: ص417.

© إيسيسكو ICESCO 2024

أشدُّ تمكُّنًا، كما أنَّ النكرة هي أشدُّ تمكُّنًا من المعرفة، لأنَّ الأشياء إنما تكون نكرةً، ثم تعرَّف، فالتذكير قبْلُ، وهو أشدُّ تمكُّنًا عنْدَهم، فالأوَّل هو أشدُّ تمكُّنًا عندهم، فالنكرة تعرَّف بالألف واللام والإضافة، وبأن يكون علمًا، والشيء يختصُّ بالتأنيث، فيخرج من التذكير، كما يخرج المنكور إلى المعرفة".[1]

يكشف لنا هذا النصُّ عن أن عدِّ التذكير أصلًا ليس من مبدأ الأفضلية، كما فَهِمَ ذلك غيْرُ سيبويه، فالنصُّ يقول بخصوصية الأنثى، لذا تصوغ اللغة لها خطابًا خاصًّا، فكما النكرة عامة مطلقة، كذلك التذكير، ثم تخصَّص الأنثى كما تخصَّص النكرة بأن تكون معرفة بإحدى طرق التعريف.

وما نلحَظُه أنَّ التذكير يأتي لعموم الجنسين، فالخطاب يوجَّه بصيغة المذكَّر ليشمل الجنسين، والخطاب نفْسُه يوجَّه بصيغة المذكَّر إن كان المخاطَبون ذكورًا، في حين تتغيَّر لغة الخطاب إلى صيغة التأنيث إن كانت المخاطَبات إناثًا فقط، فكأنَّ اللغة هنا تخصِّص للأنثى وتعتني بها عناية خاصة من دوْنِ الذكور، فكيف فُهِم من كلام سيبويه أنَّ الذكورة أصلٌ والأنوثة فرعٌ؟! مع أنه شبَّه في النصِّ نفْسِه المذكَّرَ بالنكرة لعمومه، والمؤنَّثَ بالمعرفة، ولا يخفى أنَّ المعارف أخصُّ من النكرات.

والناظر في "كتاب سيبويه" بعامة، لا يكاد يلمح مبدأ التفضيل بين الجنسين، بقدْرِ ما يلمح شيئًا من التخصيص والعناية للأنثى، لأنَّها رمْزُ الشرف على الصعيد الاجتماعي، ورمْزُ الحب على الصعيد الوجداني، لذا نجِدُ كثيرًا من الشواهد النحوية موضوعها ومحورها المرأة، فالمرأة تسكن وجدان العربي أُمًّا أو زوجًا أو حبيبةً.

وللمؤنث حضور قوي في "كتاب سيبويه"، يظهر ذلك في تسمية أبوابه وفي ثنايا موضوعاته، ولا نجد عند سيبويه مبدأ أصالة المذكَّر وفرعية المؤنَّث بالمفهوم الذكوري للأصالة والفرعية، كما ذَكَرَ اللغويون من بعْدِه الذين يعكسون ثقافة بيئاتهم آنذاك، وعلى العكس تمامًا من ذلك، يعرض سيبويه في كتابه الظواهر اللغوية كما هي واصفًا إياها، فهو يرى أنَّ

[1] سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1988)، ج3: ص241.

© إيسيسكو ICESCO 2024

اللغة استوعبت هذا التنوُّع، وأنَّها تعكس المشاركة بين الجنسين، فاللغة نتاج من يتكلَّمون بها، وللأنثى حضور قوي، لأنها أحَدُ طرَفَيْ منتِجِي الخطاب اللغوي، والشواهد على كلِّ ما ذكَرْنا أكثر من أن نسردها جميعًا في هذا البحث، ولكن نمثِّل ببعْضِها.

يذكر سيبويه في غير ما موضع أن المذكَّر والمؤنَّث يتبادلان المواقع، كقوله: "قد يكون الشيء المذكَّر يوصَف بالمؤنَّث، ويكون الشيء المذكَّر له الاسم المؤنَّث"،[1] فلا تناكُرَ ولا إغراب في أن يكون للمذكَّر اسمٌ مؤنَّث كما رأى غيْرُه، بل إنَّ سيبويه يسمِّي الفعل المسند إلى نون النسوة بفعْلِ جميع النساء، ولا نجِدُ هذا إلَّا عنْدَه، إذ يقول في باب نون التوكيد الخفيفة المسندة للفعل المتصل بنون النسوة: "وإذا أردت الخفيفة في فعْلِ جميع النساء، قلت في الوقف والوصل: اضربْنَ زيدًا...".[2]

ويُعنْوِنُ سيبويه بابًا كاملاً تحت مسمَّى "باب المؤنَّث الذي يقع على المؤنَّث والمذكَّر وأصله التأنيث"، يقول فيه: "فإذا جئت بالأسماء التي تبيَّن بها العدة؛ أجريت الباب على التأنيث في التثليث إلى تسع عشرة، وذلك قولك: له ثلاث شياهٍ ذكور، وله ثلاثٌ من الشاء، فأجريت ذلك على الأصل، لأنَّ الشاء أصْلُه التأنيث، وإن وَقَعَتْ على المذكَّر، كما أنك تقول: هذه غنمٌ ذكورٌ، فالغنم مؤنثة وقد تقع على المذكَّر... وتقول: ثلاث أفراسٍ إذا أردت المذكَّر، لأنَّ الفرس قد ألزموه التأنيث، وصار في كلامهم للمؤنَّث أكثر منه للمذكَّر، حتَّى صار بمنزلة القدم".[3]

ويذكر سيبويه عنوانًا لباب سمَّاه "باب الأسماء التي توقع على عدة المؤنَّث والمذكَّر لتبيِّن ما العدد إذا جاوز الاثنين والثِّنتين إلى أن تبلغ تسعة عشر وتسع عشرة"، يقول فيه: "اعلم أنَّ ما جاوز الاثنين إلى العشرة مما واحده مذكَّرٌ، فإنَّ الأسماء التي تبين بها عدَّته مؤنَّثة فيها الهاء التي هي علامة التأنيث، وذلك قولك: له ثلاثة بنين، وأربعة أجمالٍ، وخمسة أفراسٍ

[1] المصدر السابق، ج2: ص212.

[2] المصدر السابق، ج3: ص527.

[3] المصدر السابق، ج3: ص563.

© إيسيسكو ICESCO 2024

إذا كان الواحد مذكَّرًا... وكذلك جميع هذا تثبت فيه الهاء حتى تبلغ العشرة... إن كان الواحد مؤنَّثًا؛ فإنَّك تخرج هذه الهاءات من هذه الأسماء، وتكون مؤنَّثة ليست فيها علامة التأنيث، وذلك قولك: ثلاث بناتٍ، وأربع نسوةٍ، وخمس أينقٍ".[1]

وغيْرُها كثير من الأبواب التي تتحدَّث عن التأنيث نجِدُها في صدْرِ عنوانات كتابه، فهل سَبَبُ تفسير سيبويه المختلف لهذه النصوص بهذه الطريقة عِرقُه الأعجمي المتحرِّر من التراكمات الثقافية للبيئة العربية، أو غيْرُ ذلك؟

ولعلَّ قضية التأنيث المجازي في اللغة تعكس لنا عن كثيرًا من الحقائق عن اللغة ومستعمِليها، فالمؤنَّث المجازي ما خلا من علامة تأنيث، وقد أجاز اللغويون بعْدَ سيبويه التعامُل مَعَهُ على أنَّه مذكَّر أيضًا، وسمَّوه "المؤنَّث المجازي"، تفريقًا بيْنَه وبيْنَ ما هو حقيقي التأنيث، بل أجازوا تذكير كلِّ مؤنَّث مجازي، ربَّما من باب التصوُّر اللغوي القائم في عقولهم من أن أصْلَ الأشياء التذكير، فهذه القاعدة المعيارية الصارمة لا تتَّفق ومنطق اللغة، وذلك أن هذا التنوعُّ في استعمال الخالي من علامة تأنيث المحمول على التأنيث مجازًا، قد يكون من باب التعدُّد اللهجي، وقد يعكس استعمالات لمراحل لغوية مرَّت بها المجتمعات.

ونجِدُ الأنباريَّ يستشعر هذه الظاهرة من دوْنِ أن يعمِّمها، فيقول: "العرب تجترئ على تذكير المؤنَّث إذا لم تكن فيه الهاء"،[2] ونلحَظُ من هذا النص وما يحيط به من حذَرٍ شديد في استعمال الفعل (تجترئ)؛ ما يوحي بالحذر من التعميم، فليس كلُّ اللغويين يقولون بتعميم معاملة المؤنَّث المجازي معاملة المذكَّر دائمًا، متناسيين التعدُّد الاستعمالي الذي يحمل في طياته موروثًا فكريًّا خاصًّا بهذا الاستعمال.

ومما سَبَقَ نخلص إلى أن اللغة العربية لم تهمل التعبير عن المؤنَّث، بل فصَّلت فيه، فجعلت منه حقيقيًّا ومجازيًّا، ولفظيًّا ومعنويًّا، مما جَعَلَ جنْسَ المؤنَّث يمتدُّ في اللغة شاملاً أنواعًا كثيرة من المفردات.

---

[1] المصدر السابق، ج3: ص557.

[2] الأنباري، **المذكر والمؤنث**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة: وزارة الأوقاف المصرية، 1981)، ج1: ص362.

© إيسيسكو ICESCO 2024

2. ظاهرة الإعراب مصطلحًا نحويًّا:

رَبَطَ ابنُ الأنباريّ بيْنَ أشهر ظاهرة تتميَّز بها اللغة وهي الإعراب، وبيْنَ صفة من صفات الأنثى؛ إذ يقول بعْدَ أن يذكر عدة معانٍ للجذر (عرب): "أن يكون سُمِّي (إعرابًا)، لأنَّ المُعرِب للكلام كأنه يتحبَّب إلى السامع بإعرابه، من قولهم: امرأة عروب، إذا كانت متحبِّبة إلى زوجها، قال الله تعالى: ((عُرُبًا أَتْرَابًا)) [الواقعة: 37]، أي متحبِّبات إلى أزواجهنَّ، فلما كان المُعرِب للكلام كأنَّه يتحبَّب إلى السامع بإعرابه؛ سُمِّي (إعرابًا)"،[1] وهذا المصطلح مأخوذ من الحقل الدلالي المختصِّ بالأنثى كما نرى.

3. ظاهرة ارتباط الكسرة بالمؤنَّث:

نلحَظُ أنَّ الكسر ملازم المؤنَّث في جميع حالاته اللغوية، فتاء الفاعل للمؤنَّث مكسورة (خرجتِ)، وضمير المخاطب للمؤنَّث مبني على الكسر (أنتِ)، حتى إنَّ تاء التأنيث الساكنة حينما تُحرَّك غالبًا ما تُحرَّك بالكسر، وجمع المؤنَّث السالم علامة نصْبِه الكسرة نيابة عن الفتحة، وهذا التلازم الشديد بيْنَ الكسرة والمؤنّث يجعلنا نتوقَّف أمام خصائص الكسرة، وعلاقة هذه الخصائص بالمؤنَّث.

قال ابن منظور: "يُقال للعجين: انْكسَر، أي لانَ واخْتَمر، وكلُّ شيءٍ فَتَرَ، فقد انْكسَر، يريد أنه صَلَح لأن يُخبَز، ومنه الحديث: «بسَوْطٍ مَكْسورٍ»، أي لَيِّنٍ ضعيفٍ".[2]

اللِّين والرقة والضعف هو القاسمُ المشترك بين صوْتِ الكسرة وما ارتبطت به، فكأنَّ الكسرة بصفاتها تعكس حالة الأنثى ونظرة الفكر العربي إلى المرأة إبان نشوء اللغة، إضافة إلى معنى آخر للكسرة يذكره الزجاجي، قال: "والكسرة عَلَمُ الإضافة"،[3] مما يعطينا مؤشرًا آخر للزومها المؤنَّث في أغلب حالاته، وهو أن لا استقلالية ولا استغناء، فكأنَّ الأنثى من لِيْنِها وضَعْفِها لا تملك أن تكون مستقلَّة في غالب أحوالها، وستظهر هذه الفكرة أكثر وضوحًا في الحديث عن ظاهرة التنوين.

---

[1] ابن الأنباري، **أسرار العربية**، تحقيق: بركات يوسف هبود (بيروت: دار الأرقم بن الأرقم، ط1، 1999)، ص45.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كسر).

[3] الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك (القاهرة: دار العروبة، 1954)، ص69-70.

© إيسيسكو ICESCO 2024

4. ظاهرة التنوين:

التنوين لغةً التصويت، نقول: نوَّن الطائر، أي صوَّت،[1] واصطلاحًا نونٌ ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظًا، وتُفارِقه خطًّا،[2] ومن المعلوم أنَّ للتنوين في اللغة عند النحاة أنواعًا عدة؛ منه تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العوض... إلخ،[3] وتنوين التمكين الذي يلحق الاسم ليدلَّ على شدَّة تمكُّنه في باب الاسمية، وهو اللاحق للاسم المعرب، من مثل (زَيْد، رَجُل)، وهو ما نتحدث عنه هنا، لأنه علامة فارقة بين المذكَّر والمؤنَّث، فما يلفت الانتباه أنَّ المؤنَّث – سواء أكان حقيقيًّا أم لفظيًّا – لا ينوَّن مطلقًا، نقول: فاطمةُ، زينبُ، طلحةُ، لا ينوَّن، لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، كما يقول النحاة.

ويسمِّي بعض الباحثين التنوين الذي يلحق الاسم المذكَّر "تنوين التذكير"، لأنَّ الأعلام المؤنَّثة لا تنوَّن مطلقًا،[4] فلمَ حُرِم المؤنَّث من التنوين من دوْنِ شروط؟

لو عُدْنا إلى التنوين ظاهرةً، لوجدنا السرَّ الذي جَعَلَ النُّحاة يَشْترطون إزالة التنوين من المُضاف عنْدَ إرادة الإضافة، فالتنوين يمنع من الإضافة، مما يوحي أن هذا اللفظ مستغنٍ بنفْسِه مستقلٌّ عن غيْرِه، أي إنَّ التنوين يعني أنَّ هذا اللفظ المنوَّن لا يحتاج لفظًا آخر يُنسب إليه، فالإضافة نسبة شيء إلى شيء، وهناك ارتباط بيْن التنوين وترْكِ الإضافة، يقول سيبويه: "فلما صار التنوين إنما يُكَفّ للإضافة..."،[5] أي إنَّ التنوين لا يُزال إلا بسبب الإضافة، ويُعلِّل ابن الأنباري أن التنوين والإضافة لا يجتمعان، بقوْلِه: "إنَّ الإضافة علامة وَصْلٍ، والتنوين علامة فَصْلٍ"،[6] ونستشعر أنَّ التنوين لم يلحق بالمؤنَّث إشعارًا بقابليته الإضافةَ،

---

[1] انظر: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، **حاشية الآجرومية** (د.م: د.ن، د.ت)، ص10.

[2] انظر: ابن الناظم، **شرح ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000)، ص8.

[3] انظر أنواع التنوين في المصدر السابق نفسه.

[4] انظر: سمير شريف إستيتية، "رؤية جديدة في تفسير التنوين في العربية"، **مجلة جامعة الملك سعود**، 5(1)، (1993)، ص138.

[5] سيبويه، **الكتاب**، ج2: ص290.

[6] ابن الأنباري، **الإنصاف في حلّ مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** (بيروت: المكتبة العصرية، 2003)، ج2: ص102.

© إيسيسكو ICESCO 2024

والإضافة اتِّكاء واستناد والتحاق، فكأنهم استشعروا حاجة الأنثى إلى مَنْ تُضاف إليه، فتركوا تنوين المؤنَّث استشعارًا لهذا المعنى، وقد صِيْغَ هذا التصوُّر عن الأنثى من خلال طبْعِها، وما هي عليه من ضعْفٍ يجعلها في حاجة دائمة إلى من يحميها ويقوم بأمْرِها، وتوحي لنا هذه الظاهرة بفكرة أن لا استقلال للأنثى في ذلك المجتمع مستعمِل هذه اللغة.

وظاهرة ترْكِ التنوين مرتبطة بظاهرة الممنوع من الصرف، فكلُّ مؤنَّث ممنوع من الصرف مطلقًا، بالإضافة إلى أنواع أُخَرَ من الأسماء والصفات الممنوعة من الصرف، ولكن يمكن ربْطُ الظاهرتين؛ ترْكِ التنوين بالمعنى الذي فسَّرناه، ومنْعِ الصرف، مما يوحي بقيود على الأنثى، ربما تطلَّبتها طبيعة الحياة آنذاك، فظَهَرَتْ في لغَتِهم، وصاغت قواعدها.

ولكن ظاهرة المنع من الصرف ليست حتمية في اللغة، فقد وجدنا صرفًا لبعض الأسماء، مما يجعلنا نتوقف عنْدَ تفسير هذه الظاهرة وغيْرِها مما تتنوَّع اللغة في استعماله بيْنَ المنع والمنح، وكلُّ هذا يشير إلى أنَّ اللغة لا تسير على وتيرة واحدة في كلِّ مراحلها، فهذه التغيرات اللغوية قد تكون استعمالات لبيئات مختلفة، أو تمثِّل مرحلة من مراحل الفكر اللغوي.

5. ظاهرة الترخيم:

الترخيم في اللغة، ترقيق الصوت،[1] يقول الشاعر:

لَهَـــا بَشَـــرٌ مِثْـــلَ الحَرِيْـــرِ ومَنْطِـــقٌ رَخِـــيْمُ الحَوَاشِـــي لا هُـــرَاءٌ ولا نَـــزْرُ

أي رقيق الحواشي، وهو في الاصطلاح حذْفُ أواخر الكلم في النداء، نحْوُ: يا سُعَا، والأصل: يا سُعَادُ، يقول ابن مالك:[2]

وجَوِّزَنْـــهُ مُطْلَقًـــا فِي كُـــلِّ مَـــا أُنِّـــثَ بِالهَـــا والَّـــذِي قَـــدْ رُخِّـــمَا

إذن الترخيم جائزٌ مطلقًا من غيْرِ شروط في كلِّ ما ينتهي بعلامة التأنيث، وهو أمرٌ دلالي يتعلَّق بطبيعة التأنيث أكثر مما يتعلَّق بطبيعة بنية الاسم، وذلك أنَّ أكثر ما يرِدُ فيه

[1] انظر: ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار التراث، ط20، 1980)، ج3: ص287.

[2] انظر: المصدر السابق، ج3: ص288.

© إيسيسكو ICESCO 2024

الترخيم خاصٌّ بالإناث، لأنهن مظنَّة التحبُّب والتطريب والدلال، مع أنه قد يعني الذُّكور أيضًا، ولا سيما الأطفال منهم.[1]

فالترخيم تليينٌ في القول تحبُّبًا إلى المرخَّم، ويعكس الترخيم حالة نفسية تتَّسم بالهدوء والترف، ولعلَّ هذا هو السبب في قوْلِ بعْضِ السلف عن قراءة من قرأ: ((ونَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)) [الزخرف: 77]، حين قيل لابن عباس إن ابن مسعود قد قرأ: ((ونَادَوْا يَا مَالِ))، فقال: "ما أشغل أهْلَ النار عن الترخيم!"،[2] فالمقام مقام عذاب، مما يجعل الخطاب مصطبغًا بالحالة النفسية لهؤلاء القوم المعذَّبين، فنجد للترخيم في هذا المقام معنًى آخر وتفسيرًا دلاليًّا يتناسب وهذه الحالة النفسية، فقد أوَّل بعض الباحثين دلالة الترخيم في هذا الموضع بأنَّها نوع من التليين في القول تقرُّبًا إلى مالك خازن النار، علَّه يستجيب لندائهم.[3]

فالترخيم ظاهرة لغوية في كلام العرب مرتبطة بالأنثى بالدرجة الأولى، وكأنَّها من الظواهر التي تعكس رؤية صانعي اللغة لهذا الكائن الأنثوي، الذي طُوِّعت اللغة للتعبير عنه وتخصيصه بظواهر لا تكون مع غيْرِه إلا بشروط، وهذا يوحي بعمْقِ تجذُّر الأنثى وسيطرتها في وجدان العربي؛ مما أثَّر على الفكر اللغوي وارتسم فيه.

6. علامات التأنيث:

اعتنت العربية بالمؤنَّث، فخصَّصت علامات تدلُّ عليه، أوصلها ابن الأنباري إلى خمْسَ عشرة علامة؛ "ثمانٍ في الأسماء، وأربعٍ في الأفعال، وثلاثٍ في الأدوات، فثلاث في الأسماء؛ الهاء والألف الممدودة والمقصورة، والرابعة تاء الجمع في (الهندات)، والخامسة الكسرة في (أنتِ)، والسادسة النون في (أنتنَّ) و(هنَّ)، والسابعة التاء في (أخت) و(بنت)، والثامنة الياء في

---

[1] انظر: يحيى عبابنة، "التركيب الانفعالي بين القواعد التركيبية النحوية والقيود الدلالية: الترخيم أنموذجًا"، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**، 16(1)، (2018)، ص37.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج4: ص264.

[3] انظر: عبابنة، **التركيب الانفعالي بين القواعد النحوية التركيبية والقيود الدلالية**، ص43.

© إيسيسكو ICESCO 2024

(هذي)، والتي في الأفعال التاء الساكنة في (قامتْ)، والياء في (تفعلين)، والكسرة في (قمتِ)، والنون في (فعلْنَ)، والتي في الأدوات التاء في (ربَّتْ) و(ثَمَّتْ) و(لات)، والهاء في (هيهات)، والألف في قولك: إنها قائمة هند".[1]

لم تهمل اللغةُ الأنثى، بل منَحَتْها نصيبها من القواعد، بخلاف كثير من اللغات التي لم تفرّق بين الجنسين في استعمالاتها وصيَغِها، فلم تُخصَّص للمؤنَّث في لغاتها علامات وصيَغًا كما فَعَلَتِ اللغة العربية، وكلُّ هذا يعطينا مؤشرًا على صوغِ صورة الأنثى وتجذُّرها في وجدان العربي، ومن ثمَّ في فكره، لتتمظهر هذه الصورة في صيَغٍ وتراكيب ولواحق صرفية تمثّلها.

7. أسماء الإشارة:

يُشار إلى المفرد المذكَّر بـ(ذا)، ويشار إلى المؤنَّثة بـ(ذي) و(ذِهْ) بسكون الهاء، و(تي) و(تا) و(ذِهِ) بكسْرِ الهاء، باختلاس وبإشباع، و(تِه) بسكون الهاء وكسْرِها، باختلاس وإشباع، و(ذات).[2]

ونلحَظُ تعدُّد أسماء الإشارة للمؤنَّث، في حيْنِ اقتصر للمذكَّر على اسم إشارة واحد، مع أن بعْضَ النحويين ذَكَرَ أسماء إشارة أُخَر للمذكَّر،[3] ولكن لم يُكتب لها الشيوع.

واسم الإشارة الواحد (هذا) لم يقتصر على التعبير عن المذكّرِ المفرد فقط؛ إذ نجِدُ اللغة تسخّره للتعبير عن الجمع تارة، كما في قوْلِ لبيد:[4]

ولَقَـدْ سَـئِمْتُ مِـنَ الحَيَـاةِ وطُوْلِهَـا وسُـؤَالِ هَـذَا النَّـاسِ: كَيْـفَ لَبِيْـدُ؟

وعن المؤنَّث تارة أخرى إذا نزل منزلة المذكَّر، كقوْلِه تعالى: ((فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي)) [الأنعام: 78]، فأشار إلى الشمس بـ(هذا)، وهي مؤنَّثة.

وقد نقل الألوسي عن أبي حيان قوله: "يمكن أن يُقال إن أكثر لغة العجم لا تفرّق في الضمائر ولا في الإشارة بين المذكَّر والمؤنَّث، ولا علامة عنْدَهم للتأنيث، بل المؤنَّث

---

[1] الأنباري، **المذكَّر والمؤنَّث**، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي (بغداد: مطبعة العاني، 1978)، ص166-173.

[2] انظر: ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، ج1: ص130.

[3] انظر: السابق نفسه.

[4] انظر: السابق نفسه.

© إيسيسكو ICESCO 2024

والمذكَّر عنْدَهم سواء، فأشير في الآية إلى المؤنَّث بما يُشار به إلى المذكَّر، حين حُكِيَ كلام إبراهيم عليه السلام، وحين أخبر سبحانه عن المؤنَّث بـ(بازغة)".[1]

وأبو حيان نفْسُه يقول: "وهذا الفرق بين المذكَّر والمؤنَّث في الإخبار لا يكون في أكثر الألسن، فلا يوجد ذلك في لسان الفرس، ولا لسان الترك، بل المذكَّر والمؤنَّث في ذلك سواء، ويَتَّكلون على القرائن من غيْرِ دلالة لفظية على ذلك، وهذا من أحسن ما يُعتذر به عن التذكير في قوْلِه تعالى: ((فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي))، فأشار بلفظ المذكَّر، لأنه حكى قوْلَ إبراهيم، ولم يكن في لسانه فرْقٌ بين المذكَّر والمؤنَّث، فحكى قوْلَه على لغَتِه، والله أعلم".[2]

ومهما تكن أسباب هذا الاستعمال فإنه يوحي بالشمول، مما يجعل اللفظ (هذا) من الممكن أن يحيل إلى أكثر من نوعٍ؛ مذكَّر مفرد، وجمع، ومؤنَّث، كما أنَّ اسم الإشارة (هذا) قد يخرج من هذا الباب إلى معنى الاسم الموصول (الذي)، كقول الشاعر:[3]

عَـــدَسْ، مَـــا لِعَبَّـــادَ عَلَيْـــكَ إمَـــارَةٌ أمِنْـــــتِ وهَـــــذَا تَحْمِلِـــــيْنَ طَلِيْـــــقُ

أي الذي تحملينه طليق.

في حين تحتفظ الإشاريات الأنثوية بفرادتها اللغوية، فلا تكاد تخرج من تعبيرها عن الأنثى، وهذا الزخم الإشاري – مقارنةً باسم الإشارة للمذكَّر المفرد – يوحي بالاهتمام والعناية من صانعي اللغة، فالعرب عندما يعتنون بشيء يُكثرون له الأسماء والصفات، فنراهم يذكرون الناقة في معلقاتهم وأشعارهم أكثر من ذكْرِهم الجمل، ويتغنون بالفرس أكثر من الحصان، ويُنتجون لهما الأسماء والصفات لشدة عنايتهم بهما، ولأنَّهما محور أساس في حياتهم.

---

[1] الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج4: ص190.

[2] أبو حيان، **التذييل والتكميل في شرح التسهيل**، تحقيق: حسن هنداوي (دمشق: دار القلم، 1997-2003)، ج6: ص194.

[3] انظر: ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: بركات يوسف هبود (بيروت: دار الفكر، 1994)، ج1: ص167.

© إيسيسكو ICESCO 2024

خاتمة

توصَّل هذا البحث في ختامه إلى جملة من النتائج، نرجو أن تكون لبنة لدراسات معمَّقة تستعمل المناهج التي تربط اللغة بمتكلِّميها وما يحيط بهم من مؤثِّرات تسهم في التصيُّر اللغوي، ومن أبرز تلك النتائج ما يأتي:

1. إنَّ حضور فكرة تقديس الأنثى عند العرب قديمًا، يوحي بما كان لها من مكانة سامية جعلتهم يتَّخذون من جنسها معبودات، فللتأنيث عند العرب أكثر من معنى، وكلُّ المعاني تشير إلى عنايتهم بها، تقديسًا لها أو خوفًا عليها.

2. الأنثى في جذْرِها اللغوي تشمل معاني اللين والرقة، وتحمل في دلالتها معاني الخصب والنماء، وليس في معنى الأنوثة معجميًّا ما يشير إلى سلبية نظرة اللغة إليها، بل هو العكس؛ إذ تدور كلُّ معانيها على اللطف واللين، بل التقليبات الصرفية للجذر اللغوي توحي بالمعاني نفسها التي تطرَّق إليها البحث.

3. صيَغُ المذكَّر في اللغة عامة، فتدخل فيه الأنثى لما فيه من شمول وتعميم، في حين أن صيَغَ المؤنَّث لا يمكن أن يدخل المذكَّر فيها، وهذا نوعٌ من التخصيص، وقد شبَّه سيبويه صيَغَ المذكَّر والمؤنَّث بالنكرة والمعرفة، فكما أنَّ النكرة عامة شاملة، ثم تُعرَّف بإحدى وسائل التعريف، كذلك خطاب الأنثى يخصَّص لها فقط، ولا يخفى ما في هذا التشبيه من عناية بالأنثى.

4. إنَّ تعدُّد الاستعمالات اللغوية للظاهرة الواحدة، كمعاملة المؤنَّث المجازي معاملة المذكَّر، ومعاملة المذكَّر معاملة المؤنَّث أحيانًا، يعكس تصوُّرات ومفاهيم فكرية لمراحل زمنية في عُمُرِ اللغة.

5. إنَّ جمْعَ اللغة العربية الذي لم يكن بغَرَضِ دراسة اللغة من أجل اللغة، بل في سياق دفاعي عن لغة القرآن، وربما هو ما جَعَلَ اللغويين – باستثناء سيبويه الذي كان يصف اللغة في ذاتها – يسعون إلى ضبْطِ قواعد اللغة في صيَغٍ معيارية صارمة من دوْنِ النظر إلى الظواهر اللغوية كلٍّ على حدة، والوقوف على أسباب هذا الاستعمال أو ذاك في ظلِّ المناهج اللغوية الاجتماعية والنفسية.

© إيسيسكو ICESCO 2024

6. اللغة العربية عبْرَ قواعدها كانت منصفة مع الأنثى، فلم تتجاهلها، بل وظَّفت لها صياغات تخاطبها، بعكْسِ خطاب المذكَّر الذي كان أقرب ما يكون إلى التعميم، فخطاب المذكَّر يمكن أن تشاركه فيه الأنثى، بخلاف خطاب المؤنَّث الذي لا يصحُّ أن يشاركها فيه غيْرُها.

7. تعكس اللغة نظرةً خاصَّةً في تعامُلِها مع الأنثى، فتُخصِّص بعْضَ الظواهر النحوية ذات الدلالات الخاصة للمؤنَّث، وتَضَعُ القيود على هذه الظاهرة إذا ما استُعملت للمذكَّر، وكذا الظواهر اللغوية المتعلِّقة بالأنثى غيْرُ متواترة، فنَجِدُ التعدُّد الاستعمالي للظاهرة الواحدة، مما يعكس تنوُّعًا فكريًّا مرَّت به تلك المجتمعات.

8. من خلال التراث النحوي للعربية نستطيع دَحْضَ كلِّ الادِّعاءات المتعلقة بذكورية اللغة؛ إذ تعامَلَت اللغة مع الجنسين بوصْفِهما شريكين في إنتاجها، فلا يمكن أن تكون اللغة موجَّهة بقصْدٍ، لأنها ظاهرة اجتماعية تخضع للظروف الاجتماعية والنفسية الاقتصادية والبيئية، وكلُّ ما سَبَقَ يُسهم في صوْغِ فكْرِ هذه الأمَّة أو تلك، وتأتي اللغة لتمثِّل هذا الفكر، فيظهر في تراكيبها وصيَغِها ومفرداتها ومفاهيمها.

ومن ثم يوصي البحث بإعادة النظر في الظواهر اللغوية، ودراستها دراسة موضوعية، بعيدًا من المقدمات الفكرية الآنية، ولعل تفعيل المناهج السياقية (التاريخية والنفسية والاجتماعية) في البحث اللغوي، يوصلنا إلى أسباب كثير من الظواهر اللغوية ذات المحمول الثقافي لتلك البيئات، فاللغة وعاء الفكر، ولا بدَّ من دراسة هذه اللغة وفْقَ ما مرَّت به من مراحل، للوصول إلى ما حمَلَتْه من مفاهيم فكرية آنذاك.

© إيسيسكو ICESCO 2024

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأنباري، **أسرار العربية**، تحقيق: بركات يوسف هبود (بيروت: دار الأرقم بن الأرقم، ط1، 1999).

ابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** (بيروت: المكتبة العصرية، 2003).

ابن الناظم، **شرح ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000).

ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار (بيروت: دار الكتاب، 1975).

ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار التراث، ط20، 1980).

ابن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط3، د.ت).

ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: بركات يوسف هبود (بيروت: دار الفكر، 1994).

أبو حيان، **التذييل والتكميل في شرح التسهيل**، تحقيق: حسن هنداوي (دمشق: دار القلم، 1997-2003).

أحمد شوقي، **أسواق الذهب** (القاهرة: مطبعة الهلال، د.ت).

أحمد محمد الحوفي، **المرأة في الشعر الجاهلي** (بيروت: دار الفكر العربي، ط2، د.ت).

الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

الأنباري، **المذكر والمؤنث**، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي (بغداد: مطبعة العاني، 1978).

الأنباري، **المذكر والمؤنث**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة: وزارة الأوقاف المصرية، 1981).

© إيسيسكو ICESCO 2024

التوحيدي، **الهوامل والشوامل**، تحقيق: سيد كسروي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001).

جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (بيروت: دار الساقي، ط4، د.ت).

جورجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي** (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت).

الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك (القاهرة: دار العروبة، 1954).

الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).

سمير شريف إستيتية، "رؤية جديدة في تفسير التنوين في العربية"، **مجلة جامعة الملك سعود**، 5(1)، (1993).

سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1988).

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، **حاشية الآجرومية** (د.م: د.ن، د.ت).

عبد الله الغذامي، **المرأة واللغة** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط3، 2006).

عبد الملك مرتاض، **السبع المعلقات: مقاربة سيمائية أنتروبولوجية لنصوصها** (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998).

الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق جمعٍ من المحققين (القاهرة: الدار المصرية، د.ت).

القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964).

محمد الغزالي، **المرأة في الإسلام** (القاهرة: أخبار اليوم، 1991).

محيي الدين محسب، **اللغة والفكر والعالم: دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998).

نعوم تشومسكي، **اللغة ومشكلات المعرفة**، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني (الدار البيضاء: دار توبقال، ط1، 1990).

يحيى عبابنة، "التركيب الانفعالي بين القواعد التركيبية النحوية والقيود الدلالية: الترخيم أنموذجًا"، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**، 16(1)، (2018).

© إيسيسكو ICESCO 2024

References

Al-Qur'ān al-Karīm.

Abdullāh al-Ghathāmī, *al-Mar'ah wal-Lughah* (Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 3rd Ed., 2006).

Abdulmalik Murtāḍ, *al-Sab' al-Mu'allaqāt: Muqārabah Sīmyā'iyyah 'Anthrūbūlūjiyyah li-Nuṣūṣihā* (Damascus: Ittiḥād al-Kuttāb al-'Arab, 1998).

Abdurraḥmān bin Muḥammad bin Qāsim al-'Āṣimī, *Ḥāshiyah al-'Ājurrūmiyyah* (Privet publication).

Abū Ḥayyān, *al-Tathyīl wal-Takmīl fī Sharḥ al-Taḥṣīl*, Ḥasan Hindāwī (Ed.) (Damascus: Dār al-Qalam, 1997-2013).

Aḥmad Muḥammad al-Ḥūfī, *al-Mar'ah fī al-Shi'r al-Jāhilī* (Beirut: Dār al-Fikr al-'Arabī, 2nd Ed.).

Aḥmad Shawqī, *'Aswāq al-Thahab* (Cairo: Maṭba'ah al- Hilāl).

Al-Alūsī, *Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wal-Sab' al-Mathānī*, Alī Abdulbārī Aṭiyyah (Ed.), (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st Ed., 1415H).

Al-Anbārī, *al-Muthakkar wal-Mu'annath*, Muḥammad 'Abdulkhāliq 'Uḍymah (Ed.) (Cairo: Ministry of al-Awqāf, 1981).

Al-Anbārī, *al-Muthakkar wal-Mu'annath*, Ṭāriq Abd Awn al-Janābī (Ed.) (Baghdad: Maṭba'ah al-'Ānī, 1st Ed.,1978).

Al-Farrā', *Ma'ānī al-Qur'ān*, A Groupe of Editors (Cairo: al-Dār al-Miṣriyyah).

Al-Qurtubī, *al-Jāmi' li-Aḥkām Al- Qur'ān*, Aḥmad al-Bardūnī & Ibrāhīm Aṭfīsh (Eds.) (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 2nd Ed., 1964).

Al-Tawḥīdī, *al-Hawāmil wal-Shawāmil*, Sayyid Kasrawī (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st Ed., 2001).

Al-Zajjājī, *al-'Īḍāḥ fī 'Ilal al-Naḥw*, Māzin al-Mubārak (Ed.), (Cairo: Dār al-'Urūbah, 1954).

Al-Zamakhsharī, *al-Kashāf 'an Ḥaqā'iq al-Tanzīl wa-'Uyūn al-'Aqāwīl fī Wujuh al-Ta'wīl* (Beirut: Dār al-Kitāb al-'Arabī, 3rd Ed., 1407H).

© إيسيسكو ICESCO 2024

Ibn al-Anbārī, *al-’Inṣāf fī Masā’il al-Khilāf byn al-Naḥwiyyīn al-Baṣriyyīn wal-Kūfiyyīn*, Muḥammad Muḥyiddīn ‘Abdulḥamīd (Ed.) (Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣriyyah, 2003).

Ibn al-Anbārī, *’Asrār al-‘Arabiyyah*, Barakāt Yūsuf Habbūd (Ed.) (Beirut: Dār al-’Arqam bin Abī al-’Arqam, 1st Ed., 1999).

Ibn al-Nāẓim, *Sharḥ ’Alfiyyah Ibn Mālik*, Muḥammad Bāsil ‘Uyūn al-Sūd (Ed.) (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2000).

Ibn Aqīl, *Sharḥ ’Alfiyyah Ibn Mālik*, Muḥammad Muḥyiddīn ‘Abdulḥamīd (Cairo: Dār al-Turāth, 20th Ed., 1980).

Ibn Hishām, *’Auḍaḥ al-Masālik ’ilā ’Alfiyyah Ibn Mālik*, Barakāt Yūsuf Habbūd (Ed.) (Beirut: Dār al-Fikr, 1994).

Ibn Jinnī, *al- Khaṣā’iṣ*, Muḥammad ‘Alī al-Najjār (Ed.) (Beirut: Dār al-Kitāb, 1975).

Ibn Manẓūr, *Lisān al-‘Arab* (Beirut: Dār Ṣādir, 3rd Ed.).

Jawād Alī, *al-Mufaṣṣal fī Tārīkh al-‘Arab qabl al-’Islām* (Beirut: Dār al-Sāqī, 4th Ed.).

Jūrjī Zydān, *Tārīkh al-Tamaddun al-’Islāmī* (Beirut: Dār Maktabah al-Ḥayāh).

Muḥammad al-Ghazālī, *al-Mar’ah fī al-’Islām* (Cairo: ’Akhbār al-Yawm, 1991).

Muḥyiddīn Muḥassib, *al-Lughah wal-Fikr wal-‘Ālam: Dirāsah fī al-Nisbiyyah al-Lughawiyyah byn al-Faraḍiyyah wal-Taḥaqquq* (Beirut: Maktabah Lubnān Nāshirūn, 1st Ed., 1998).

Noam Chomsky, *al-Lughah wa-Mushkilāt al-Ma‘rifah*, Ḥamzah bin Qabalan al-Muzynī (Casablanca: Dār Tūbqāl, 1st Ed., 1990).

Samīr Sharīf Stītiyyah, “Ru’yah Jadīdah fī Tafsīr al-Tanwīn fī al-‘Arabiyyah”, *Majallah Jāmi‘ah al-Malik Sa‘ud*, 5(1), (1993).

Sībawyh, *al-Kitāb*, Abdussalām Hārūn (Ed.) (Cairo: Maktabah al-Khānjī, 3rd Ed., 1988).

Yaḥyā Abābnah, “al-Tarkīb al-’Infi‘ālī byn al-Qawā‘id al-Tarkībiyyah al-Naḥwiyyah wal-Quyūd al-Dalāliyyah: al-Tarkhīm ’Unmūthajan”, *Majallah Ittiḥād al-Jami‘āt al-‘Arabiyyah lil-’Ādāb*, 16(1), (2018).

© إيسيسكو ICESCO 2024